بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الخامسة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله المصطفى

لم يكن يتوقع أن تنفد نسخ الكتاب هذه المرة بسرعة غريبة ، في سنتين فحسب ، لما بُلى لبنان بلد الناشر بالحوادث والكوارث الهائلة ، الخارجية والداخلية . ولكن الله يفعل ما يريد وهو خير حافظاً وأرحم الراحمين . وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها .

وأستفيد من الفرصة التي اتيحت لي بالطبعة الجديدة لتصحيحات وزيادات . وفضّل الناشر أن يجمعها كلها في آخر الكتاب في ذيل . والعذر عند كرام القّراء مأمول .

صدر منذ قليل الطبعة الجديدة لتأليف الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، من الرياض ، سمّاه «كتّاب النبي صلى الله عليه وسلّم » . وفيه تفاصيل مفيدة لديوان الإنشاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وبلغ عنده عدد الذين كتبوا للنبي عليه السلام واحداً وستين . ولكن مع اختصاصات : فبعضهم كان يشتغل بالمسائل العسكرية مثل تدوين أسماء المتطوّعين للغزوات والسرايا ، وتسجيل المغانم وتقسيمها ، وآخرون يكتبون إلى الملوك أو يشتغلون بكتابة المعاملات ، وآخرون بالزكاة والصدقات ، إلى غير ذلك . ولا يبقى أدنى شبهة أن النبي عليه السلام كان قد أسّس ديوان الجيش ، وكان يعطي المعاش للجنود حتى يكونوا دائماً على أهبة للخروج في البعوث . فقد ذكر الامام محمد

الشيباني في السير الكبير : « والأصل فيه ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل محمية بن جزء الزبيدي على خُمس بني المصطلق ؛ وكانت تجمع إليه الاخماس (في كل غزوة) . وكانت الصدقات على حدة ، لها أهل ، وللفيء أهل . وكان يعطي من الصدقة اليتيم والضعيف والمسكين . فاذا احتلم اليتيم ، ووجب عليه الجهاد ، نقل إلى الفيء . وإن كره الجهاد لم يعطَ من الصدقة شيئاً ، وأُمر أن يكسب لنفسه » . (شرح السير الكبير للسرخسي ، باب ١٠٥ ، رقم ١٩٧٨ من طبعة المنجّد) .

ولمّا دوّن سيدنا عمر الدواوين في خلافته لم يعمل إلا استدامة النظام الاداري الذي ورثه من العصر النبوي على صاحبه الصلاة والسلام .

أما طريق الكتابة فيمكن لنا أن نستنبطه مما ذكره ابن عبد البر : « روى ابن القاسم ، عن مالك ، قال بلغني أنه ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ، فقال : من يجيب عني ؟ فقال عبد الله بن الأرقم : أنا . فأجاب عنه ، وأتى به ، فأعجبه وأنفذه . . وذكر موسى بن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استكتب عبد الله بن الأرقم ، فكان يجيب عنه الملوك . وبلغ أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك ، فيكتب ، ويأمره أن يطيه (يطويه) ويختمه، وما يقرأه لامانته عنده . (الاستيعاب ، مادة عبد الله بن الأرقم) .

وذكر الجهشياري : كان حنظلة بن الربيع بن صيفي ، ابن أخي أكثم بن صيفي الاسدي ، خليفة كل كاتب من كتّاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا غاب عن عمله . فغلب عليه اسم « الكاتب » . وكان يضع عنده خاتمه . وقال له : «الزمني : واذكرني لكل شيء لثالثة . فكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكّره ، فلا يبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده شيء منه » (الوزراء والكتّاب ، ص ١٢ - ١٣ ، الأعظمي ، ص ٥٥) .

وذكر ابن سعد : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ، ابني الجلندى . فاتصل عمرو بعبد بن الجلندى الذي أوصل

عمرا إلى أخيه جيفر . قال عمرو بن العاص: «فدخلتُ عليه ، فدفعتُ إليه الكتاب مختوماً ، ففضّ خاتمه وقرأه » . (الطبقات ، ٦٦٢/١ كما ذكره الأعظمي ، ص ٢٩) .

والذي يهمنا ههنا خاصة هو مسألة احتفاظ نقول الوثائق في العصر النبوي . فقال المقريزي (في إمتاع الاسماع ، ١٠٧/١ ، ثم كرّر مرة أخرى فيما بعد ، فراجع مخطوطة كوبرولو باستانبول ص ١٠٣٥ ـ ١٠٣٦) أن وثيقة دستور دولة المدينة ، مع ذكر المعاقل والديات ، كانت معلقة بسيف النبي عليه السلام . وبعد وفاته كان السيف وما عليها عند سيدنا علي بن أبي طالب . وذكر البلاذري : « خاصم العباس عليا رضي الله عنهما إلى أبي بكر ، فقال : العم أولى أو ابن العم ؟ فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : العم . فقال : ما بال دروع النبي ، وبغلته دلدل ، وسيفه عند علي ؟ فقال أبو بكر : هذا شيء وجدته في يده ، فأنا أكره نزعه منه . فتركه العباس » . (أنساب الاشراف ، ٥٢٥/١ ، رقم ١٠٥٦) وصحيفة علي ، في أثناء خلافته شهيرة ، كثر ذكرها (صحيح البخاري ١/٣٩/٣ ، ٥٨/ ١٠ ، ٢/١٧/٥٨ ، ٢/٥/٩٦ ، ٤/١/٢٩ ، ٢٤/٨٧ ، ٣١/٨٧ ، ١/٢١/٨٥ ، والمصنّف لعبد الرزاق رقم ١٨٨٤٧ ، ١٨٨٤٨ ، وسنن أبي داود ٩٥/١١ ـ ٩٦ ، وطبقات ابن سعد ١/٣ص ٢٠٦ ، وتقييد العلم للخطيب البغدادي ، ص ٨٨ ـ ٨٩ إلى غير ذلك) وكانت تشتمل كما يظهر على ثلاث وثائق على الأقل : دستور المدينة ، وحرم المدينة ، وأسنان الإبل والجراحات (راجع الوثائق ١ ، ٣٩ ، ١٠٤/ الف ، ب ، ج ، ١٠٦ ، ١٠٦/د) .

ومن واجبي أخيراً أن أكرّر شكري للأخ الناشر ، جزاه الله في الدارين خيراً لاعتنائه هذا بالسيرة النبوية « وقل رب زدني علماً » .

باريس يوم ميلاد النبي عليه السلام ١٤٠٥

الفقير إلى الله

محمد حميد الله